

مقدمة جراب السائح

قال الشيخ :

الحمد لله الذي جعل في المعارف لذة العقول والأرواح ، وفي الفوائد والنكت والطرائف منتهى المسرات والأفراح ، وحبب إلى طلبة العلم والأدب الأسفار والدفاتر ، المتضمنة تجارب الأوائل والأواخر، فكانت أنيسهم في الخلوات ، وسميرهم في السهرات ، فكم تغنوا بمدحها ، ولهجوا بالثناء عليها، وأطنبوا في وصف عوائدها ونفعها ، وقد صدقوا والله فهي أكثر مما قالوا وأجل ، وأهدى إلى المكارم والفضائل وأدلّ، وبأدنى تأمل وتفكير ، ينتبه الباحث الخبير، إلى عظم قدر ما يصرف فيه الإنسان نفيس وقته ، ويكد ذهنه ويحرق دمه راضياً مطمئناً ، فرحاً مسروراً ، والصلاة والسلام على سيد البلغاء والفصحاء ، الذي امتدح القريض والبيان ، ورغب لتذوق الإعجاز في تدبر القرآن، وكان يمزح ولا يقول إلا حقاً ، يلاطف مؤثراً صواباً وصدقاً ، وعلى آله وأصحابه أهل العقول الراجحة ، والمساعي الراجحة ، أما بعد :

فهذا كشكولي ومخيلاقي ، ومستطرفي ومشكاتي ، وجليسي وبهجتي، وأنيسي وجؤنتي ، سلكت فيه جميع من مضى ، وحاذيت به سبيل الرعيل المرتضى ، جمعت فيه أمشاجاً وأخلاقاً ، ومددت من موائد اللطائف سماطاً ، فهو لا أول له ولا آخر ، بين جادّ من كلامه وساخر، ولا يخضع لضابط ولا نظام ، ولا ينحصر في فن من فنون الكلام ، وشرطي فيه أن لا أثبت منشوراً ، ولا أدونّ مذكوراً ، إلا إذا ذيلته بتنبيه على نظير ، أو إشارة إلى شيء خطير ، وقد ينشر بعض ما أذكره بعد ذلك ، فلا لوم عليّ في ذكره هنالك ، متجرداً -فيما- أزعم من الغرض والهوى، وإن كانت هذه الدّعوى صعبة الفحوى، ولكنني بذلت جهدي، وقلت ما عندي، وربما ذكرت فيه رسائل لغيري برمتها، وتقاييد بأكملها، ضنا بها على الضياع والدثور ، ولتيسير الوقوف عليها والعثور، وقد سبق هذا الديوان نظائر له إلاّ أنّها لا تبلغ حجمه في الكبر، ولم تحو ما تضمنه من الغرائب والعبر ، فدونك (مذكرات) كما تسمى بلغة العصر الحاضر، ولهجة

العرائض والمحاضر ، ولعلك واجد فيها ما تقر به عينك، ويرتضيه أدبك وفنك، وإن لم تكن هذه ففي طرائفه وفكاهته ، ما يتكفل بانشرح الخاطر العليل، وإمتاع البصر الكليل، ولا تشمئز من أسرار مطوية تذاق ، و مجون فاضح يصك الأسماع، فلذلك مسوغات يعرفها المتأمل البصير ، وإلى الله المرجع والمصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وسميت هذا الديوان:

﴿جرب السائح، العلوي للعنصات والنصائح،
وزهر الأمدب الفائح ، وثمر ما أنتجت القرائح﴾